ساهمت في القبض على الإرهابيين

العواصف الترابية أزمة الطبيعة المكملة لأزمات الفساد

وزارة البيئة: أضرارها تزيد عن 100 مليون دولار سنوياً

معظم الناس تسأل وتناقش الأحوال الجوية في العراق، لكونها التحدي الحقيقي الذي أصبح ظاهرة مرعبة اسمها العواصف الترابية! والبعض يفضل أن يطلق عليها أحداث الغبار، لأنه عندما نفكر في عاصفة معناه التفكير في شيء يستغرق ساعة أو أكثر قليلا، لكن "أحداث الغبار" يمكن أن تستمر لعدة أيام في بلد تعتبر عاصمته واغلب مدنه بيئة شبه عسكرية، وكيف يكون تأثيرها في حياة الناس وممارسة عملياتهم اليومية. الناس تتساءل أين يذهب ضوء النهار الذي تحول إلى ظلام دامس بسبب التحرك السريع للغبار، ماذا حدث ويحدث لأجواء العراق؟ أسئلة قد تكون واضحة ومحيرة في أن واحد، فالحكومة صامتة ولا تحرك ساكناً ولا ترد على سؤال الموطن الأزلي: أين الحزام الأخضر لصد تلك العواصف؟ فهل تحول أيضا ليشكل سوراً للمنطقة الخضراء لصد العواصف الترابية خوفاً على صحة ممثلي الشعب!

□ بغداد/ إيناس طارق.. عدسة/ محمود رؤوف

مصدرها المناطق الشمالية

أول شيء يمكن أن تكون بحاجة إليه هو النظر إلى مصادر هبوب تلك العواصف، حيث يؤكد مالك محمد خبير في مجال البيئة – الجامعة المستنصرية في حديثه لـ(المدى): إن معظم المناطق المسببة لانطلاق تلك الرياح هي مدن الشمال، حيث يكون مصدرها في الطبقة السفلى من نهري دجلة والفرات ويمكن أيضا أن تكون أصغر حجما وتحدث بالقرب من الجداول أو البحيرات الجافة في العراق. وهناك أيضا عدد كبير من العواصف تأتي من إيران، وخاصة من الحدود الشرقية للعراق. والغبار في تلك المناطق يشبه بودرة التلك (البودرة المستخدمة للأطفال)، وهذا هو السبب في أننا نسميها عاصفة ترابية بدلا من عاصفة رملية. ويجب أن نأخذ في الاعتبار المناطق التي يجري فيها البناء لكونها تسبب ما يسمى الغبار المحلي، الذي من شأنه أن يقلل الرؤية إلى حد كبير، واستدرك محمد في حديثه قائلا: هناك نوعان رئيسيان من العواصف الترابية، يصعب التنبؤ بهما، ويرجع ذلك إلى الطريقة التي تحدثان فيها الأولى: العواصف الرعدية التي نادرا ما تحدث في أواخر الخريف إلى الربيع، كما أنها الأكثر إثارة لأنها تحدث بسرعة كبيرة، وهي أحد أنواع العاصفة الترابية التي تشبه جدارا من الماء الذي يتهدم ويسرع نحوك، الثانية: عاصفة ترابية تهب من الشمال، هذا النوع من الغبار حدث ليس دراماتيكيا، لكنه لا يسبب انخفاض الرؤى، سببه غبار الشمال بواسطة الرياح التي تهب على شمال غرب العراق ويمكن ان تستمر أربعة أيام.

كشف الإرهابيين

بينما أكد الخبير العسكري احمد عبد اللطيف من وزارة الدفاع العراقي في حديث لـ(المدى) قائلاً: آثار العواصف الترابية تعتبر كبيرة على الجانب الأمني، وتوثر بشكل سلبي في العمليات العسكرية وملاحقة الإرهابيين، إضافة الى تأثيرها على القوات العسكرية البرية، خصوصا أن حدودنا مفتوحة على مصراعيها وهذه العواصف تكون طوق أمان لدخول وخروج الإرهابيين، إضافة إلى خطورتها انها تمنع الطيران من حيث الهبوط والإقلاع في مناطق آمنة ومحددة، ولها اثار في المعدات العسكرية التي تجري باستمرار صيانتها وتنظيفها بسبب هذه العواصف. مضيفا انه تم إفشال أكثر من عملية إرهابية كان مخططا لها أن تنفذ وقت هبوب العواصف الترابية لكن انعدام الرؤية كان السبب في مسك المنفذين بعد أن تعرضت أجهزة اتصالاتهم الى التشويش وكشف أوكارهم.

تأثيرها الاقتصادي

الخبير الاقتصادي جعفر الموسوي أستاذ في جامعة بغداد أكد في حديثه لـ(المدى) قائلاً : إن حدوث العواصف وانتشار الغبار سببهما يرجع إلى الجفاف الشديد النابع من شتاء جاف جدا.

واستدرك الموسوي في حديثه قائلا: إن هناك المزيد من العواصف الترابية هذا العام بسبب الجفاف الذي سبب "أقل غطاء نباتي لعقد الأرض معا، وهناك قيعان البحيرات الجافة التي تكون كبيرة في مناطق تعتبر مصدر الغبار ويمكن أن تستمر عدة أيام، مع أقل الغبار ليلا. ويمكن لارتفاع واتساع العاصفة الترابية أن يكونا مذهلين. وفي المتوسط تبقى العاصفة الترابية في حدود ٥٠٠٠ قدم أو أقل. وفي الآونة الأخيرة كانت هناك عاصفة ترابية في شمال العراق بحدود ١٨٠٠٠ قدم.

وشدد الموسوي في حديثه قائلا: "ورغم ذلك، كانت هناك عاصفة ترابية في شمال العراق كانا نراقبها في الهواء عبر الأجهزة العلمية الخاصة، فقد شاهدنا أعمدة غبار كبيرة بما يكفي لتغطية جزء من العراق"، وأشار إلى انه: في كثير من الأحيان تتم تغطية ثلثي البلاد من خلال عاصفة ترابية كبيرة، وهذا ليس من المعتاد، وهذا ما يؤدي إلى خسائر كبيرة.

الغبار وظاهرة التصحر

مصدر متخصص في الأنواء الجوية أكد لـ(المدى) قائلاً: كما هو معروف أن شهري تموز وآب هما الأكثر في ارتفاع درجات الحرارة من أشهر السنة في العراق. حيث يمكن أن تصل درجة الحرارة فيهما إلى أكثر من ١٢٠ درجة فهرنهايت.

والرياح الشمالية الغربية تهب من الشمال بشكل دائم تقريبا. وتشتد الرياح في عقدة ١٥ (حوالي ١٧ ميلا في الساعة) وما يحدث علميا هو بسبب جفاف الأراضي الرطبة وخروج جيوب أخرى من الرطوبة في البلاد القاحلة، مما يزيد من عدد أماكن الشمال التي يمكن ان تلتقط الغبار. وتكون العواصف التي قد تستمر لعدة ساعات او أيام متتالية.

وكشف خبراء من وزاره الزراعة والبيئة عن أن التصحر يرتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة الغبار في العراق، مؤكدين أن أكثر من ٧٠٪ من الأراضي الزراعية العراقية تواجه التصحر بسبب الممارسات البشرية الخاطئة، والرعي الجائر، والزراعة الهامشية. واعتبر خبراء في قضية التصحر أن الظاهرة آخذة في الازدياد، وأصبحت أكثر خطورة منذ عام ٢٠٠٣، عندما تم استخدام الأشجار والنباتات لأغراض التدفئة وأغراض أمنية، مشيرا إلى أن قلة الأمطار وانخفاض منسوب المياه في نهري دجلة والفرات، والتغيرات المناخية ودرجة الحرارة هي أيضا من الأسباب الرئيسية وراء التصحر.

وما يزيد الطين بلة هو غياب السعي الجاد من قبل الحكومة لمعالجة تلك الظاهرة ما أدى إلى تصعيدها وتفاقم سلبياتها وتأثيرها.

استهلاك القدرات الطبية

يذكر أن الناطق باسم وزارة الصحة الدكتور زياد طارق أكد "أن مشكلة استمرار حدوث العواصف الترابية ولمدد زمنية قد تطول لأكثر من يومين متتاليين، أمر بات يضغط بوضوح على مفاصل عمل المؤسسات الصحية في الشق العلاجي ويستنزف مواردها المالية والدوائية وينهك فرقها من أطباء ومساعدين التي تبقى في حالة استنفار طيلة الأيام التي تشهد حدوث العواصف الترابية"، مشيراً إلى أن أكثر الفئات العمرية تعرّضاً للإصابة بالاختناقات "هم شريحتا الأطفال وكبار السن، ومن يعانون مشاكل وأمراض الجهاز التنفسي على وجه الخصوص".

طارق أشار في هذا السياق إلى أن هناك عدة معوّقات تواجه المؤسسات الصحية وفرقها في تعاطيها مع ظاهرة العواصف الترابية المزمنة، ومن بينها "القدرة الاستيعابية الراهنة لردهات الطوارئ في المستشفيات والتي لم تُصمّم لاستقبال هذا العدد الكبير من المراجعين دفعة واحدة كما يحصل الآن أثناء حدوث العواصف الترابية، فضلاً عن تخلف البنى التحتية للنسبة الأكبر من المشافي العاملة كالافتقار إلى المنظومات التخصصية لإعطاء الأوكسجين للحالات المصابة وغيرها".

تأثير الزوابع الرعدية

خبراء وناشطون في مجال الصحة العامة والبيئة حذروا من جانبهم من أن العواصف الترابية التي تضرب مناطق عدة في العراق بصورة مستمرة "تعد من أخطر أنواع العواصف على الصحة العامة للإنسان"، إذ يشير الخبير والناشط الدكتور عبد الهادي باقر إلى أن السبب الأساس في النسبة الأكبر من العواصف الترابية الحاصلة الآن هي "الزوابع الرعدية خالية الأمطار الحاصلة بفعل التغير المناخي والتي تؤدي إلى شحن الجو بشحنات كهربائية متنافرة تثير الغبار الدقيق الموجود على الطبقة العليا من التربة المتعرية وتنشره في الهواء، وهذا النوع من الغبار خطر جداً على الإنسان لأنه يتسبب بتخدش الجدار الخارجي للحويصلات الرؤية داخل الجهاز التنفسي"، الأمر الذي يفضي إلى حالة من الاختناق قد تؤدي إلى حصول الوفاة لمن يعانون أمراض الربو والحساسية.

كما يحذر باقر من أنه "في حال عدم تبني الدولة جدياً مشروعاً لزراعة الغابات وتثبيت التربة مع وجود الإمكانية للزراعة باستخدام المياه المالحة، فإن ظاهرة العواصف الترابية المتكررة ستتفاقم يوماً بعد آخر وسيصبح من الصعب جدا إيجاد حل للعواصف التي تغطي سماء العراق جراء التصحر.

منظمة الزراعة العالمية

وتشير التقارير العالمية التي صدرت عن الأمم المتحدة إلى أن نحو " ٧٠ بالمئة " من إجمالي مساحة الأراضي الجافة المستخدمة في الزراعة في العالم تضررت بدرجات متفاوتة من جراء عمليات التصحر، كما اعتبرت منظمة الزراعة العالمية "فاو " التصحر مرض الأرض الأشد خطورة وفي تقريرها أوضحت الأمم المتحدة أن دول غرب آسيا "البقعة الجغرافية التي تضم العراق " تقع ضمن الحزام الصحراوي الجاف لغرب القارة الذي يتميز بانخفاض معدل هطول الأمطار وارتفاع كل من درجات الحرارة ونسب التبخر.

وكشفت وزارة البيئة أنه في تصريح سابق خلال شهر حزيران الحالي، انه بعد ١٠ سنوات من الآن، العواصف الترابية تزداد وتحدث حوالي ٣٠٠ يوم ويمكن أن تحدث في كل عام وهو معدل مرتفع نسبيا بالمقارنة مع تقارير وزارية حول مدى السنوات الأربع الماضية، حيث أن عام ٢٠٠٨ شهد عواصف رملية ١٢٢ في ٢٨٣ يوما مغبرا، وتوقعت وزارة البيئة أن هذه العواصف سوف تسبب أضرارا بيئية وصحية واقتصادية. والتي قد تصل أضرارها إلى أكثر من ١٠٠ مليون دولار سنويا.

إسناد مالي وثقافي وإعلامي

والكثير من العراقيين لا يرحبون بشكل إيجابي بمثل هذه الأخبار لا سيما أنهم يتوقعون هناك نهاية للعواصف الترابية التي ضربت جميع المدن العراقية في الآونة الأخيرة، وقد اجمع المتخصصون في علم الفلك والبيئة على كيفية التقليل من أخطار العواصف الترابية بقولهم: التقليل من هبوب العواصف الترابية يتم من خلال مكافحة أسباب هذه العواصف وفي مقدمتها محاربة التصحر وزيادة الغطاء النباتي الذي يسهم بشكل كبير في تثبيت التربة ومنع انجرافها مع الرياح ويكون ذلك من خلال السيطرة على المراعي الطبيعية وتنظيمها، كذلك من الضروري إطلاق حملات شعبية ورسمية لغرض إيجاد حزام اخضر حول المدن العراقية من خلال توفير الشتلات والمزروعات لغرسها بشكل نظامي في مداخل المدن. إن هذا الحزام الأخضر المطلوب لا بد أن يرافقه بساط اخضر داخل المدن وذلك بزراعة المساحات الخالية والمهملة لضمان عدم إثارة الغبار والأتربة فيها، ناهيك عن تلطيف أجواء المدينة وإيجاد متنزهات يرتادها الناس لقضاء أوقات الراحة والاسترخاء وهناك تجارب عالمية في مجال زراعة المناطق الصحراوية من اجل تثبيت التربة وتحسين المناخ أيضاً. إن مثل هذه الحملات تحتاج إلى دعم مالي وثقافي وإعلامي واجتماعي كبير لنجاحها وكذلك تتطلب حضوراً ميدانياً فاعلاً للمسؤولين والقائمين عليها لتعكس انطباعاً جاداً ورغبة صادقة منهم في خدمة الأرض والإنسان معاً.